القيمة الابستيمولوجية لمشروع إصلاح المعرفة عند فرنسيس بيكون

بوعمود أحمد*

إشراف: أ.د بوشيبة محمد**

*****

مقدمة:**

تمثّل فلسفة "فرنسيس بيكون Francis Bacon"[1] نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الفكر البشري إذ عملت على فحص ونقد ما أنتجه العقل اليوناني من مناهج ومعارف بل ونظريات تميزت بالطابع التأملي المجرد، حملت فلسفته شعار "المعرفة قوة" بدافع التحكم في الطبيعة والسيطرة عليها، حيث يجزم بأن أداة السيطرة على الطبيعة هي المعرفة وحدها وفقط، لأنه جعل من الفلسفة مهمة ووظيفة وليست مجرد رأي أو مذهب أو عقيدة، فيقول في مقدمة كتابه "حكمة القدماء" "إنني لا أطيق الحياة بغير فلسفة"[2] فكانت رسالته الفلسفية تتمحور حول موضوع واحد هو علاقة الإنسان بالطبيعة .

ويمكن ترجمة هذا المشروع الطموح إلى تساؤل يتمحور حول الكيفية التي تجعل من المعرفة قوة، بمعنى كيف تتحول التصورات والأفكار بل النظريات والأحكام الذهنية إلى قوة نتخذها كأداة للسيطرة على الطبيعة، يقول بيكون: "إن العلوم التي هي في حوزة الإنسان الآن ليس لها فائدة في الوصول إلى المعلولات العملية، ومنطقنا الحالي ليس له فائدة بالنسبة لتأسيس العلوم"[3]، هذا ما دفعه إلى الإعلان عن مشروع إصلاح المعرفة، وأطلق على منهجه اسم الإصلاح الكبير[4]. The Great Instauration. والذي لا يتحقق في نظره إلا بإعلان تحرر الفكر

* طالب دكتوراه، قسم الفلسفة بكلية العلوم الاجتماعية – جامعة وهران2.

** أستاذة بقسم الفلسفة، ورئيس وحدة في مختبر الأبعاد القيمة للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر – جامعة وهران2.

Abstract : The Epistemological accountability of Bacon's philosophy for knowledge and logic ، especially the project of knowledge reform and formulation of the novum organum ، by examining and criticizing the Aristotelian logic which ، in his viewpoint ، was never appropriate to acquire knowledge in the modern era. Bacon formulated then a new logic that transcends Aristotle's logic and acquires knowledge in the age of science. The philosophy of Bacon is a new task ، not merely an opinion. In fact ، it represents the laying of the foundation stone not for a doctrine or a dogma ، but the structure of human progress and the support of human authority on nature - Knowledge is power - This is achieved only after liberation from obstacles and fallacies related to the methodology of the work.

Keywords: idols; Knowledge is power; methodology ، novum organum; Epistemological; authority on nature.

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دط، 1936م، ص 57.

[3] فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة (من أوكام إلى سواريز)، المجلد الثالث، تر امام عبد الفتاح إمام المركز القومي للترجمة القاهرة ط 1، 2013، ص 410.

[4] عبد المنعم الحنفي المرجع السابق، ص272.

الحديث من القبول الأعمى لسلطان الماضي من ناحية ومن التأمل الخيالي الذي لا ضابط له من ناحية أخرى .

لكن هل تحقق مشروع اصلاح المعرفة في اطار الإحياء العظيم الذي نادى به بيكون ؟ وما هي القيمة الابستيمولوجية لهذا التصور، وهل تمثل مؤلفاته: الأورغانون الجديد Novum Organum وتقدم المعرفة، The Avancement of Learning بداية حلقة الاصلاح وتتمة للأورغانون القديم حتى تكتمل الحلقات غير المكتملة لبناء المنطق بصفة عامة، أم أنه منطق جديد، وهل يشكل منهجا علميا جديدا في مقابل المنهج الأرسطي الاستنتاجي، وما هي العوائق التي تعترض تطور العلم؟ .

هل يحق لنا القول أن بيكون كان ناقدا وابستيمولوجيا في فلسفة المنهج بتحليله ودراسته لإشكالية الأصنام التي تعيق (العقل الانساني) في تفسير الظواهر الطبيعية، وتصوره الجديد لمشكلة العلية، هل أدرك أن العلم لا يتأسس إلا من خلال اكتشاف العوائق والعمل على ازالتها وإحداث قطيعة ابستمولوجية ؟

استهل فرنسيس بيكون بناء مشروعه بتوجيه نقد بناء للمنطق الأرسطي ،الذي استحوذ على العقول زمنا طويلا حتى أسموه بالآلة Organum ،"كان لمنطق ارسطو التقليدي تأثير كبير على مفكري العصر الوسيط من مسلمين ومسيحيين [...]وأنه الآلة التي تعصم الفكر من الخطأ "[1]

موقفه النقدي كان مستلهما من طبيعة حياته، التي جوهرها التمرد، تمرده العقلي على ما درسه في الجامعة من مناهج عقيمة، تمرده على ظروف الفقر التي كانت تهدده، تمرده على هيئة المملكة لما حاكمته بتهمة الرشوة، "ولا شك أن أعظم ما أفاد به بيكون البشرية هو تمرده على مناهج التعليم وصورة العلم السائدتين في عصره"[2].

يقول بيكون في سياق نقده "أنه لا جدوى من توقع تقدم عظيم في العلوم من خلال اضافة أشياء جديدة أو زرعها في تربة قديمة، إذ لابد من إطلاق بداية جديدة [...] إلا إذا اكتفى المرء بالحركة ضمن دوائر مغلقة إلى الأبد من دون إحراز أي تقدم يذكر[3] ،حيث اتخذت الفلسفة طوال القرون الوسطى القياس الأرسطي سبيلا لتأييد المذاهب والآراء، والقياس المنطقي وسيلة عقيمة في كثير من وجوهه، ورأى أن من الواجب القيام بفحص ونقد المعارف والمناهج السابقة وكشف عيوبها ونقائصها "فانتقد الاعتماد على العقل، وقال إنه أداة تجريد، وتصنيف ومساواة ومماثلة، وإذا تركناه على سجيته انصرف إلى الجدل العقيم وانقاد لأوهام طبيعية فيه سماها أصنام العقل"[4].

[1] محمد محمد بالروين، قواعد المنطق الصوري والرمزي ومناهج البحث العلمي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، طبعة 1998، ص147.

[2] مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة مصر ط 3، 1998، ص226.

[3] فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، تحرير ليزا غاردن، مايكل سيلفرثورن، تر، منذر محمود محمد، دار الفرقد دمشق ط 1، 2016، ص 104.

[4] عبد المنعم الحنفي، المرجع السابق، ص272.

يتضح أن مشروع اصلاح العلوم لا يتحقق إلا بفحص التراث العلمي والفلسفي وكشف نقائصه، وهذا لا يتأتى إلا بإعداد منهج وطريقة لبناء المعرفة وتفسير الطبيعة .

لقد زعم بيكون أن المنطق الأرسطي يعتبر استقراء صبياني على أنه يستند إلى الإحصاء البسيط لأن نتائجه ليست يقينية، " لا يتضمن ملاحظات جزئية وإنما أحكام عامة عن بعض صفات تتعلق ببعض الأنواع ثم إصدار تعميم كلي، وهذا ما لا يقره العلم، لأنه حالة سالبة واحدة في المستقبل تكفي لرفض القانون تماما ".[1]

حيث رفض بيكون الجانب الصوري المطلق في الفكر المنطقي، واتجه إلى الطبيعة ملاحظا ومجربا، "فالموضوعات المتصلة بالطبيعة جديرة بالبحث العلمي، أما الأفكار التي تبقى صورية ما هي إلا ميتافيزيقا "[2]، ومن مبدأ بيكون أن هدف العلم هو" قهر الطبيعة لا قهر الخصوم والسيطرة على مجرى الحوادث، إن القياس يمكن أن يستعمل كأداة لنشر الحقائق وإقناع الأذهان بها لا للكشف الجديد منها."[3] فلا نتصور حقائق جديدة تلزم عن الاستدلال الصوري قوامه مقدمات عامة أساسها علاقة الاستغراق.

وخلص من نقده للقياس الأرسطي والذي استبدله بالاستقراء، الى القول بأنه أفسد العلم، وأصاب العقل البشري بالحدب والعقم[4]، على اعتبار أنه أول من أنزل الفلسفة على الطبيعة، حيث يقول عنه برتراند راسل، " لقد كان بيكون أول ذلك الصف الطويل من الفلاسفة ذوي العقول العلمية."[5] علاوة على أن الاستدلالات الصورية مفارقة لعالم الخبرة بعيدة عن الطبيعة وتغيراتها

كما أن القياس الأرسطي يتكون من مقدمتين ونتيجتهما، وهذه المقدمات لا تعبر عن وقائع متصلة بعالم الخبرة ولا حتى النتائج. حيث حاول الهروب من المنهج الاستدلالي التجريدي الصوري إلى المنهج الاستقرائي التجريبي والذي يمكننا من توفير معرفة يقينية قائمة على الدلائل والبراهين بعيدة عن التصور والخيال.[6]، فهو " يستبدل منهجا منطقيا لفظيا عقيما بمنهج اختباري فعال "[7]، فالقياس مضيعة للوقت[8]، لا يأتي بجديد .

فعقم العلم السكولائي في العصر الوسيط وما أصابه من تشوهات يمكن تفسيره بولاء هذا العلم وخضوعه للمنطق الارسطي، وهذا ما عبر عنه بقوله "إن نهر الزمان قد وضع على سطحه

[1] ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم (المنطق الاستقرائي)، ج1، النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، دط، 1984، ص 95.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[3] المرجع نفسه، ص 96.
[4] الشرقاوي محمد عبد الله مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، دار الجيل، بيروت مكتبة الزهراء جامعة القاهرة ط2، 1997، ص 146.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[6] ملحن حسن، التفكير والمنهجية، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد وتوزيعها، بوزريعة، الجزائر، دط، 1993م، ص 75.
[7] بلانشي روبر، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ترجمة أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص 236.
[8] ماهر عبد القادر محمد علي، المرجع السابق، ص 63.

أوحال مذهبي أفلاطون وأرسطو، في حين أن نظريات ديمقريطس العلمية قد قذف بها دون حق الى النسيان "[1].

توحي تسمية كتاب بيكون "الأورغانون الجديد" إلى المعارضة والنقد والرفض للفهم القديم للعلم ومنهجه المستند إلى أورغانون أرسطو أما الأورغانون الجديد يمثل بديلا عن المنطق القديم. "إن أهم سؤال نطرحه على الاطلاق يتعلق بالشكل الحقيقي للاستقراء، وبالحكم الذي يصدر على أساس الاستقراء يمكن القول أن شكل الاستقراء الذي يتحدث عنه علماء المنطق، ليس سوي مسألة تافهة".[2]

بمعنى لا يمكن الاعتماد على القياس الأرسطي في تفسير الطبيعة، لأن نظرية القياس قوامها مقدمات عامة ووسائط أساسها علاقة الاستغراق تلزم عنها نتائج متضمنة سلفا، لا تقرر حقائق جديدة، فهو مجرد استدلال صوري لا يهتم بالعالم الطبيعي وهدفنا الاكبر هو تفسير الطبيعة، فالقياس الأرسطي يكتفي بالأشياء الإيجابية واستخلاص النتائج العامة، هذا ما يعتبره بيكون باطلا.[3]

ومن"الاعتراضات الموجهة إلى القياس إن الحجج الموجهة ضد القياس يمكن أن ترتد إلى حجتين أساسيتين فيقال:

أن القياس عقيم لا طائل وراءه، بل أنه مصادرة على المطلوب[4]. لقد ضمن بيكون أراء عن المنهج الاستقرائي في كتابه: الأورغانون الجديدnovum organum وترجمته الحرفية (الأداة الجديدة) باعتبار أن لفظorganum يعني الأداة ويقصد به المنطق نفسه باعتباره أداة التفكير العلمي،[5] وقد كان الهدف من هذا الكتاب (المنطق الجديد) "نقد المنطق الأرسطي ونظرية القياس المدرسية التي لم ير فيها بيكون إلا مجموعة مبادئ تختلف في درجة التعميم".[6]

"ثم تطوير (الاستقراء) بحيث يكون مبدأ أساسيا لكل العلوم، وهو الاستقراء الذي عبر عنه بارترند راسل بأنه أفضل من ذلك النوع الذي يطلق عليه الاستقراء بالعد البسيط والذي قال به أرسطو"[7].

أما كتابه الثاني تقدم المعرفة The Advancement of learning، فقد حاول فيه بيكون: وضع تصوره المأمول في تأسيس العلم والمعرفة من جديد على نحو يكون فيه للطبيعة دور كبير

[1] ماكوفلسكي ألكسندر، تاريخ علم المنطق، تر : نديم علاء الدين، ابراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 1978، ص 335.
[2] فرنسيس بيكون، المصدر السابق، ص 74.
[3] ملحن حسن، المرجع السابق، ص 75.
[4] جول تريكو، المنطق الصوري، تر، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص 377.
[5] Andrsen F.H the philosophy of francis Bacon (chicago usa 1948 p.p :33-34.
[6] د. جلال موسى، منهج البحث عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1988، ص 47.
[7] بارتزند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، تر: زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، دط، مصر، 1978، ص 82.

يساعد على التوسع والتقدم في الأعمال التي من شأنها مساعدة لإنسان على أحكام سيطرته على قوى الطبيعة لصالح الجنس البشري.[1]

– وبيكون في ذلك مسبوق بالدراسة الممتازة لابن تيمية التي تعرض فيها لنقض المنطق الأرسطي وإنشاء المنطق الأصولي بمباحثه المختلفة، عمل على "نقد المنطق القياسي في عصره واعتبره صنم الفكر المعبود، حيث لم يكتف بتحريم الاشتغال به وذمه، بل نقده نقدا منهجيا يقوم على أسس منطقية ليبرهن على أن هذا المنطق لا يخالف صحيح المنقول بل يخالف صحيح المعقول ايضا"[2] علاوة على أنه "لم يرفض المنطق أو هاجمه بناء على أساس عاطفي وجداني وإنما رفضه على أسس علمية [...]حيث تناوله في جزئياته المتعددة بملاحظاته النقدية المنهجية القيمة، التي كانت بداية انطلق منها فلاسفة العصر الحديث خاصة دافيد هيوم وجون ستيوارت مل في نقد المنطق الأرسطي".[3]

ويمكن تلخيص نقد فرنسيس بيكون للمنطق الأرسطي والإفصاح عن مشروعه في مقولته التالية: "وما القياس إلا طريقة لقهر الخصوم أو إقناعهم عن طريق الحجج اللفظية، إلا أن هدف البحث العلمي ليس قهر الخصوم وإنما قهر الطبيعة ذاتها، وليس السيطرة على الألفاظ وإنما السيطرة على الأشياء ومن هنا كان القياس منهجا عقيما كل العقم بالنسبة إلى أي علم يرمي إلى كشف حقائق الكون وإخضاع ظواهره لسيطرة الإنسان، وغاية ما يمكن أن ينتفع به من القياس هو استخدامه كأداة لنشر الحقائق وإقناع الأذهان بها لا لكشف الجديد فيها".[4] كما أن الاتساق المنطقي للقضايا والمقدمات تجعل من النتيجة لازمة عنها بالضرورة لوجود الروابط المنطقية أو ما يعرف بالحد الأوسط ويترتب عن ذلك التعميم، وهو سبب تأخر العلوم في نطره " يطلق عليه بيكون اصطلاح استباق الطبيعة Anticipation of nature ويقصد به الانتقال بسرعة من معلومات جزئية إلى أعم النتائج التي تتخذ شكل مبادئ يقينية تنطبق على كافة المجالات المختلفة".[5] لكن ما كان الناس بحاجة ماسة إليه هو منهج وطريقة للتوصل إلى الحقائق الجديدة عن الطبيعة لا تعليم الحقائق المعروفة وإقامة الدليل عليها.

في "مقابل ذلك يقترح بيكون طريقة أخرى للبحث العلمي هي طريقة تفسير الطبيعة [...] والتي يرى أنها كفيلة بكشف القوانين العلمية الجديدة".[6] على الرغم من أن المنهج الاستقرائي يعود بجذوره الأولى الى أرسطو، وهذا ما يعترف به بيكون "صحيح أن أرسطو تحدث عن الاستقراء

---

[1] Vergilius ferm ; History of philosophical systems (new jersy 1962 ، p235.

[2] ابن تيمية، نقض المنطق، تح: محمد بن عبد الرزاق مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، دط، 1951، ص13

[3] محمد حسن محمدي بخيت، المنطق الأرسطي بين القبول والرفض، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2014، ص 93.

[4] Francis Bacon The advancement of learning andNovum Organum (The world great classis) new yourk ، london (aphorism 12) ، p316.

ينظر: فرانسيس بيكون، الأورغانون الجديد، المصدر السابق، ص ص 98، 99.

[5] Bacon ، op ، cit ، p319.

[6] Ibid ، p 147.

وعرض فيه نظرية اعتقد البعض أنه من الممكن الاستعانة بها في الكشف عن القوانين الطبيعية، غير أن هذه النظرية لم تكن لها أهمية كبيرة، فكثيرا ما كان الاستقراء الذي تحدث عنه أرسطو يرد إلى القياس وذلك عن طريق إحصاء صفات معينة في الأنواع وإيجاد ارتباط قياسي بينها ".[1]

وكانت أشهر أفكار كتاب الأورغانون الجديد تناوله لمسألة الأوهام الأربعة التي عدد فيها بيكون مظاهر الزلل الذي يقع فيها الإنسان بوصفه إنسانا يشترك مع غيره في طبيعة بشرية واحدة أو بوصفه فردا له شخصيته الخاصة المستقلة.[2] " وهي:

الأوهام:Idoles هي بمثابة أصنام وعقبات تعترض سبيل تكوين المعرفة، وهي تخص العقل في علاقته بالطبيعة والمجتمع، "أما الأصنام التي تشغل بال العقل فهي إما مصطنعة أو فطرية المنشأ، لقد ولجت الأصنام المصطنعة إلى عقول البشر إما من خلال مبادئ الفلاسفة ومذاهبهم، أو من خلال قواعد الدلائل المنحرفة، أما الأصنام ذات الطابع الفطري، فهي جزء لا يتجزأ من طبيعة الفكر نفسه"[3]

أول هذه الأوهام أوهام الجنس البشري وهي تشير إلى المغالطات القبلية التي يقع فيها كل أبناء الجنس البشري بحكم طبيعتهم البشرية المتسرعة حيث " أن العقل البشري جريا على طبيعته الخاصة، يفترض في بساطة ويسر أن في الأشياء قدرا من النظام والاتساق، ومن الميل البشري إلى تأكيد النظام والاتساق تنشأ الخرافات بشتى أنواعها، مثل خرافة البحث عن العلل فلا يستطيع الناس تصور الشيء بلا عله أو بدون علة، وبذلك نقع في أخطاء من قبيل البحث عن العلة الغائية، التي هي أكثر ارتباطا بطبيعتنا الإنسانية منها بطبيعة أشياء العالم الطبيعي التي تفرضها عليها".[4]

وثاني الأنماط أوهام الكهف وتعني أن لكل إنسان منا كهفه الخاص به الذي قد يظل سجين فيه فيحكم على الأشياء من منطلقه هو يقع في الخطأ ولذلك فنحن نحكم على الأشياء بأحكام مختلفة تبعا لتنوع شخصياتنا واختلاف عقولنا فمن "العقول ما تميل إلى التحليل وتقسيم العالم إلى اشتات من الأشياء وتدرك الفرق بينها، ومنها ما تميل إلى التركيب فتنظر إلى العالم على أنه بناء متماسك بين أجزائه أوجه شبه متعددة وينتمي إلى النمط الأول العلماء بينما ينتمي الفلاسفة والفنانون إلى النمط الثاني، "[5].

أما ثالث الأوهام فهي أوهام السوق فهي تنشأ عن اتصال الناس واجتماعهم ببعضهم البعض واسمها مستمد من عمليات التبادل التجاري التي تجرى بين الناس في الأسواق والتي تشبه في

[1] فؤاد زكريا، الأورغانون الجديد، المجلد الثاني، من مجلة التراث الإنسانية، طبعة القاهرة، دت، ص 899.
[2] مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، 1998، ص228.
[3] فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، المصدر السابق، ص 74.
[4] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص229.
[5] المرجع نفسه، ص 229. ينظر: فرنسيس بيكون الأورغانون الجديد، المصدر السابق، ص75.

رأيه عمليات تبادل الأفكار وتداولها بين الناس عن طريق الألفاظ اللغوية ويرى بيكون "أن الناس من يتوهمون أن عقولهم تتحكم في الألفاظ على حين أن العكس أحيانا كثيرة هو ما يحدث فتعود الألفاظ وتتحكم هي الاخرى في العقل وتؤثر فيه [...]فبعض الألفاظ تعرف الأشياء على نحو غير دقيق لأن تلك الألفاظ قد اشتقت لتلائم الذهن العادي وليس العلمي"[1] يقول بيكون "أما النوع الثالث، فلا يمكن الغاؤه البتة، الاستراتيجية الوحيدة الباقية تتمثل بتوجيه الاتهام لها، وفضح القوة المخادعة للعقل وإدانتها"[2]

والنمط الرابع من الأوهام فهو أوهام المسرح وهي أوهام انحدرت إلى العقل من عقائد الفلاسفة السابقين ومذاهبهم التي تفرض على الأذهان بمنطق مزيف "لقد ولجت الأصنام المصطنعة الى عقول البشر إما من خلال مبادئ الفلاسفة ومذاهبهم"[3] أو نتيجة للاحترام المنوط لأراء القدماء فكل الآراء الفلسفية السابقة التي تتابعت في الموضوع الواحد تقبل سلبيا دون مناقشة أو نقد بينما المفروض أن نناقش هذه النظريات السابقة على أساس الدراسة الفعلية للواقع ولا نقبل منها إلا ما يشهد به الواقع الفعلي فقط"[4].

أما عن آليات التجاوز وإحداث القطيعة وبعد عرض بيكون لتلك الأوهام يؤكد مرة أخرى على ضرورة التخلص منها بعزيمة قوية حتى يكون دخولنا دائرة المعارف ومملكة العلوم بلا أوهام أو أفكار مسبقة، ولكن ما هو الطريق إلى دخول مملكة العلوم والتعرف عليه؟ أنه طريق الشك، التجربة والخطأ، طريق التصنيف وإعادة التصنيف، فالتجربة الصحيحة تضيء كالشمعة أولا وعلى ضوئها يتضح الطريق، وقد حدد بيكون هذا الجانب الإيجابي المتمثل في نظريته في الاستقراء القائمة على الملاحظة واجراء التجارب وتكرارها، من خلال ما أسماه بالقوائم الثلاث "التي يمكن من خلالها دراسة أي ظاهرة دراسة علمية قائمة على استقراء جزئياتها وحصرها وتصنيفها، أولا قائمة الحضور [...] ثانيها قائمة الغياب وفي هذه القائمة نجمع الأمثلة التي تغيب فيها الظاهرة التي نبحثها [...] وثالث هذه القوائم قائمة التفاوت في الدرجة"[5].

وبعد وضع هذه القوائم تبدأ في رأي بيكون عمليات الرفض والاستبعاد للفروض التي تتنافى مع ما في القوائم من معلومات بمعناها، ولقد استبعد عدة نظريات منها النظرية اليونانية القديمة التي كانت تربط بين الحرارة وبين عنصر النار، وبعد عملية الاستبعاد نصل إلى النتيجة التي تحدد لنا الظاهرة موضوع الدراسة تحديدا إيجابيا صحيحا"[6]

قيمة فلسفته (مشروع اصلاح المعرفة)

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، المصدر السابق، ص77.
[3] المصدر نفسه، ص 76.
[4] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص 230.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[6] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على الرغم مما لاقته نظرية الاستقراء عند بيكون من نقد وما جرى عليها من تعديلات قدمها جون ستيوارث مل وغيره من فلاسفة الاستقراء المحدثين إلا أنها ظلت تمثل أول محاولة واضحة للخروج من هيمنة المنهج العقيم الذي تبناه المدرسيون في العصر الوسيط، كما أننا لا يجب أن ننسى أن دعوة بيكون الأساسية لم تكن تمثل في فرض هذا المنهج الاستقرائي الجديد الذي قدمه، بل كانت في ضرورة أن يكون التجديد الحقيقي في مجال العلم نفسه، فلقد أدرك أن العالم لا يخضع لمناهج يفرضها عليه الفلاسفة، وإنما هو الذي يضع لنفسه منهجه حينما يقوم بعملية البحث العلمي نفسها .

إنه لا أمر بالغ الصعوبة تحديد المكانة الحقيقة لفلسفة بيكون ضمن ما يعرف ببزوغ عصر الحداثة، فهل ينظر إلى مشروعه كنسخة لنهضة بالية تجاوزها الزمن، هل مشروعه ولد ميتا لأنه لا يحمل عنصر الإبداع رغم كل ما وعد به من إعلانات التجديد والإصلاح أم نأخذه على محمل الجد ونعتبر أنه بالفعل ميلاد لمعيار جديد يوجه المعرفة.[1]

يكفينا هنا لنبين هذه الصعوبة التردد الذي وقع فيه أي متفحص لمشروع بيكون: وجهتي نظر متعرضتين لأشهر من اهتموا بهذا الموضوع، هيغل من جهته يعتبر أن بيكون رأس الخيط لكل الفلسفة التجريبية، إن هذه السمعة التي حضي بها بيكون في نظر هيغل هي أكثر مما يستحق، صحيح أنه أسس منهجا في حقل المعرفة العلمية وهذا ما يمنحه مكانة في تاريخ العلوم والفلسفة غير أنه لما باشر بحوثه المتهورة في مجال التاريخ الطبيعي وقد وضع ضمن دائرة اهتمامه وصفات إنتاج الذهب ابتعد بالتأكيد عن مقتضيات الفهم الصحيح للطبيعة والتي اشترطها هو ودخل بذلك في الخرافة المضللة والسحر الكاذب وقد كان هذا هو الحكم النهائي لهيغل في حق بيكون والميتافيزيقا.[2]

على نقيض من ذلك يرى دوغالد ستيوارت Dugald stewartفي كتابه Essais philosophique أنه لا يجب أن نختزل مشروع فرنسيس بيكون في زيادة سيطرة الإنسان على العالم المادي فهو يتجاوز ذلك أي يمنح أهمية أعمق من أن تكون ثانوية لعلوم الروح إذ يقول دوغالد: "كل أعمال فرنسيس بيكون الفلسفية تمنحنا باستمرار مثالا عن المنهج الذي يجب إتباعه وفي هذا المجال الدراسي بالنسبة لبيكون سواء تعلق الأمر بفرضيات حول ماهية النفس أو طبيعة العلاقة التي تجمعهما بالبدن فهي دائما خلاصات مهمة حول الفهم الإنساني.[3]، ويمكننا في واقع الامر أن نقول ان بيكون أرسى قواعد الاستقراء كمنهج في الوصول الى المعرفة اليقينية، وترك

[1] Didier deleule Francis bacon et la réforme du savoir ، Hermann éditeurs ، Paris 2010 ، p 07.

[2] Hegel f ، le çon sur l'histoire de philosophie (la philosophie moderne) ،trad ;pierre Garniron :paris1985 ;tome p 1262.

[3] Didier deleule Francis bacon et la réforme du savoir ،Hermann éditeurs ،Paris 2010 ، p 10.

هذا المنهج أثرا عميقا في الفلسفة بشكل عام وفي الفلسفة الانجليزية بشكل خاص، كما أن دعوته الشهيرة بأن المعرفة قوة هي التي جعلته يستمر في كسب الأنصار حتى اليوم.[1]

خاتمة:

يقول كلود برنارد "إني أعتقد أن الكشف عن أداة جديدة للملاحظة والتجربة أعظم فائدة للعلوم التجريبية الناشئة من عدة أبحاث نظرية"[2] يتضح دور المنهج في العلم ،فالمنهج هو السر كله في نجاح العلم، ولهذا الغرض جعل فرنسيس بيكون الهدف الرئيسي من مشروعه إيجاد طريقة ومنهج لتفسير الطبيعة والقيام باكتشافات جديدة بهدف السيطرة على الطبيعة، ومن هذا المنطلق يعتبر بيكون بحق رائدا ومؤسسا للمنهج الاستقرائي التجريبي بل اعتبره البعض نبيا لمنهج البحث العلمي الحديث، ولقد قال عنه ريشنباخ " لقد كان بيكون هو الذي أدرك بوضوح ضرورة الاستدلالات الاستقرائية في المنهج العلمي وله في تاريخ الفلسفة منزلة نبي الاستقراء."[3] حيث أضحى المنهج الاستقرائي منذ عهد بيكون هو المعيار المميز بين العلم واللاعلم.

وتتلخص رسالة بيكون في تحرير العالم من أسر أرسطو، وذلك بتحويل العلم والمعرفة من مجال النظر العقلي الى مجال التجربة العلمية، وهذا لا يتأتى إلا بعد دراسة وتقويض العلم السكولائي وبناء صرح جديد للمعرفة العلمية، ايمانا بأن غاية العلم يجب أن تكون سعادة البشر وتنمية قدراتهم وسلطانهم على الطبيعة، فرسالة العلوم هي خلق كيفية جديدة بإبداع مناهج جديدة.

وما قصة موته إلا دليل عن مدى اصراره على الاختبار التجريبي، فالغاية من الفلسفة هي المعرفة والغاية من المعرفة هي السيادة على الطبيعة، خاصة وأن الفلسفة المدرسية أكدت على عجز الانسان عن الاتصال بالطبيعة والتأثير فيها.

إن المساءلة الابستيمولوجية لفلسفة بيكون العلمية والمنطقية، تكشف لنا عن السبق المعرفي والمنهجي في طرح مسائل وقضايا الابستمولوجيا عن كيفية تشكل المعرفة وطرق بنائها، ومناهج بلوغها، فقد طرح مسألة العوائق والعقبات المعرفية بلغة الأوهام والأصنام، وكيفية تجاوزها وتحطيمها، فتساءل عن شروط بناء المعرفة العلمية، واستخلص بأن عوائق العلم والمعرفة صنفان: صنف يتعلق بالذات العارفة (أوهام العقل)، وصنف آخر يتعلق بطبيعة المعرفة (موضوع المعرفة) ومعيار الصدق تجريبي ومنطقي (تطابق الفكر مع المادة)، هذا ما دفعه إلى اعادة النظر في تصور العلية بالمفهوم التأملي الميتافيزيقي الى التصور المادي الطبيعي الذي يهدف الى ادراك العلاقات المادية الفاعلة بين الظواهر.

---

[1] Wang .h.Beyond A NaLytic ;Philosophy .Doing justice :to what we know A Brad Fort ;Book Mit Cambridge 1986 p 54

[2] محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص129.

[3] هانز ريشباخ، نشأة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص202.

لاشك ان ما أفاد به بيكون البشرية هو تمرده على مناهج التعليم وصورة العلم، حيث أوصى بأن اصلاح حال التعليم لن يكون إلا بالفصل بين العلوم الطبيعية وبين الدين واللاهوت المقدس، كانت دعوة الى تحرير العلم من حفظ المعارف وترديدها ومن طريقة النقل والرجوع الى التراث التي كانت سائدة، ودعوة الى استثمار العلم، والى فلسفة جديدة ترتكز على أساس متين من العلم الطبيعي لا من الميتافيزيقا والتأمل المجرد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن تيمية، نقض المنطق، تح: محمد بن عبد الرزاق مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، دط، 1951.
2. انجي حمدي، المنهج الاستقرائي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، مصر، ط 1، 2015.
3. بارترند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، تر: زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، دط، مصر، 1978.
4. بلانشي روبر، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ترجمة أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.
5. جلال موسى، منهج البحث عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1988.
6. جول تريكو، المنطق الصوري، تر، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ط، د ت.
7. ريشباخ هانز، نشاة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.
8. زكي نجيب محمود،قصة الفلسفة الحديثة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،دط،1936،ص57
9. الشرفاوي محمد عبد الله، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة، ط2، 1997.
10. فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة (من أوكام إلى سواريز)، المجلد الثالث، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط 1، 2013.
11. فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، تحرير ليزا جاردن، تر، منذر محمود محمد، دار الفرقد دمشق ط 1، 2016.
12. فؤاد زكرياء الأورغانون الجديد المجلد الثاني من مجلة التراث الإنسانية طبعة القاهرة، دت.
13. ماكو فلسكي ألكسندر، تاريخ علم المنطق، تر: نديم علاء الدين، إبراهيم فكري، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 1978.
14. ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم (المنطق الاستقرائي)، ج1، النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، دط، 1984.
15. محمد حسن مهدي بخيت، المنطق الأرسطي بين القبول والرفض، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2014.
16. محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص129.
17. محمد محمد بالروين، قواعد المنطق الصوري والرمزي ومناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، طبعة 1998.
18. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، 1998.

19. ملحن حسن، التفكير والمنهجية، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد بوزريعة، دط، 1993.

20. هانز ريشباخ، نشاة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص202.

21. وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط1، 2010.

22. *Andrsen F.H the philosophy of francis Bacon (chicago U S A 1948.*

23. *Didier deleule Francis bacon et la réforme du savoir ، Hermann éditeurs ، Paris 2010.*

24. *Francis Bacon the advancement of learning and Novum Organum (the word great classis) new yourk ، london ، 1900.*

25. *Hegel f ، leçon sur l'histoire de philosophie (la philosophie moderne) ، tradition pièrre Garniron: paris 1985.*

26. *Vergilius ferm; History of philosophical systems (new jersy 1962.*

27. *Wang .h. Beyond A NaLytic; Philosophy .Doing justice: to what we know A Brad*